ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Asst. Lect. Fatima Hadi
College of Arts – University of Wasit
Email:
fatimah129@uowasit.edu.iq

Asst. Prof. Dr. Muhammad Hassan Abbas Al-Zaidi
College of Arts – University of Wasit
Email:
Zaidiiraq1973@gmail.com

Keywords: Poetry, Qattal, Subject, Artistry.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 18May 2025
Accepted 21May 2025
Available online 1 Jul 2025

The Poetry of Al-Qattal Al-Kilabi: A Study of Theme and Artistry

Abstract

The research is structured around two main axes. The first axis, preceded by a biographical account of the poet's social and literary life, sheds light on his poetic activity and the literary environment from which he drew his cultural influences. It also offers a preliminary assessment of his poetic standing among his contemporaries, in addition to examining the various poetic purposes he addressed in his works. The second axis focuses on analyzing the themes present in his poetry, such as elegy, praise, prison descriptions, longing for homeland, and silence in the face of vengeance. It also highlights the components of his poetic imagery, his poetic musicality, and the language he employed to craft his images, along with other poetic techniques such as explicitness, repetition, and more. The research concludes with a summary of the main findings, along with the sources and references consulted. Chief among these is the poet's own poetry collection, which served as the primary source for this study, relying on the first edition published by Dar Al-Thaqafa in Beirut.

.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4514

شعر القتّال الكلابي، دراسة في الموضوع والفن

م م فاطمة هادي / كلية الآداب- جامعة واسط
ا.م.د محمَّـــد حســن عبَّـــاس الزيـــدي/كلية الآداب- جامعة واسط

مستخلص البحث:
يقوم البحث الموسوم بـــــ" شعر القتّال الكلابي، دراسة في الموضوع والفن" ، على محورين، يشتمل المحور الأول الذي سبق بترجمة شخصية لحياة الشاعر الاجتماعية والأدبية، ويسلط الضوء على إدراك نشاطه الشعري، وبيئته الأدبية التي استمد منها مصادر ثقافته، مع تقويم أولي لمكانته الشعرية بين أقرانه، على عدد من الأغراض الشعرية التي كتب فيها الشاعر.
أمّا المحور الثاني فقد تبنى دراسة الموضوعات التي كتب فيها الشاعر كالرثاء والمديح ووصف السجون والحنين الى الديار والسكوت عن الثأر، كما سلّط الضوء على مكونات الصورة الفنية عند الشاعر وموسيقاه الشعرية، ولغته التي وظفها في تكوين الصور الشعرية ، وغير ذلك من التقنيات الشعرية؛ كالتصريح والتكرار وغير ذلك لينتهي البحث، بخاتمة عرض فيها أهم النتائج التي توصل إليها، وما رجع إليه الباحثان من مصادر ومراجع ، معتمدين على كثير من المصادر والمراجع كان من دون شك ديوان الشاعر المصدر الرئيس لهذه الدراسة معتمدين على الطبعة الأولى الصادرة من دار الثقافة في بيروت.
كلمات مفتاحية :شعر، قتّال فن، موضوع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأتم الصـلاة والسـلام على أشـرف المرسـلين محمد الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

شهد العصر الأموي أحداثاً مختلفة، أسهمت بشكل وآخر بتوفير بيئة خصبة للشعر والشعراء، ومهدت الطريق لأغراض شعرية متنوعة، كما لعب تراجع القيم الإسلامية في ذلك العصر لصالح القيم القبلية، دوراً في بروز نعرات مذهبية وعصبية، لم تكن معروفة قبله في أوساط الشعراء، وقد كتب العديد من شعراء العصر نتاجًا شعريا كبيرا حول جملة من الأغراض الشعرية التي هيأتها ظروف أحوال وتقلبات السلطة الأموية آنذاك .

تولّد اختيار الشـاعر قتّال الكلابي بوصـفه واحدًا من الشـعراء الذين شـهد عطاؤهم الإبداعي نموًا متزايدا في العصـر الأموي ، ولأن الشـاعر لم يسـتوف حقه من الدراسـة والتمحيص النقدي تولدت الرغبة في أن يكون موضوعا لبحثنا هذا، موظفًا ديوانه الشعري الذي حققه الدكتور احسان عباس ويقع في 129 صفحة .

من دواعي اختيار الموضوع تسليط الضوء على تجربة القتّال الشعرية ؛ لاستنباط إمكاناته الجمالية وطاقاته الإبداعية ودراستها موضوعياً وفنياً ، معتمدّا على تحليل نصوصه ودراسة أغراضه بهدف الكشف عن كوامن إبداعه، وتلقي الضوء على أدواته، وقدراته الفنية .

قسمت خطة البحث التي اتخذت من المنهج الوصفي التحليلي سبيلاً لأثبات فرضيته على مهاد نظري ومحورين، سلطنا الضوء في المهاد النظريّ الذي أسميناه (القتّال الكلابي/ إضاءات من حياته) على نسبه، وأسرته، وأخباره، ثم أثرنا في المحور الأول عددًا من الأغراض الشعرية التي كتب فيها الشاعر، وجسدت جزءا من معاناته وشعوره الذاتي، ليستعرض المحور الثاني من البحث طبيعة صورة الشاعر الفنية وموسيقاها ، وأبرز الظواهر اللغوية في شعره، ومن ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها، تلتها قائمة بأبرز المصادر والمراجع.

القتّال الكلابي، إضاءات في حياته

مثلما اختلف النقاد في نسب وأسماء بعض الشعراء وقبائلهم، فقد اختلفوا حول اسم الشاعر " قتّال الكلابي" لكن ذلك الاختلاف انحصر في اسمه، فهو عبد الله أو عبيد الله أو عبيد أو عبادة أو عبّاد (عباس، 1989، 13)، وكما اختلف النقاد في اسمه الحقيقي، فقد اتفقوا على لقبه "القتّال" وهو لقب الشاعر الشائع، الذي ينتمي إلى قبيلة بني كلاب من قيس عيلان، وكان من الشعراء الذين جمعوا بين الفروسية والشعر.

ويبدو أن الاختلاف في حياة الشاعر صار سمة يوصف بها، فالمصادر التي تناولت عصر الشاعر اختلفت فيه، فمنهم من عده جاهلياً (البصري ، 199، 34)، ومنهم من عدّه مخضرماً (البكري، 12،2012)، ومنهم من أدرجه مع شعراء العصر الأموي(حبيب، د.ت، 288).

ولد الشاعر في أواخر العصر الجاهلي وعاش في الإسلام حتى أيام عبد الملك بن مروان، وقد شهدت تلك الفترة التي عاشها الشاعر تبدلات اجتماعية وسياسية في بعض الأقاليم والأمصار الإسلامية، والشاعر من اولئك الذين نشأوا في بيئة قبلية، يغلب عليها الطابع البدوي، حيث كانت العصبية القبلية والثأر والحروب القبلية من السمات السائدة، مما انعكس على شعره، كما يوصف بأنه من الشعراء الصعاليك الذين تمردوا على أوضاعهم الاجتماعية، وسلكوا طريق النهب والغزو على القبائل الأخرى، كما كان كثير الترحال في البوادي.

ويبدو أن القتّال كان صعلوكاً، ففي كتاب الأغاني يروي عن "ابن حبيب" أن "أبن هبّار القرشي" خرج إلى الشام في تجارة، ، فاعترضه جماعة منهم القتّال الكلابي وغيره، فقتلوه وأخذوا ماله، وشاع الخبر، فاتهم مع

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

جماعة من بني كلاب وغيرهم من فتاك العرب، فاخذوا وحبسوا، فلما خشي القتّال ان يعلم أمره، ورأى أصحابه ليس فيهم غناء، اغتال السجان وخرج هو ومن كان معه في السجن فهربوا(الأصفهاني، د.ت، 328).

تشير المصادر التأريخية أن جده كان يسمى بالمضرحي، وقد تزوج بامرأة من بني عجلان تدعى خولة، ولدت له مجيباً، وكان القتّال يتعصب – بسبب جدته- لبني عجلان على غيرهم من فروع العامريين.

ويتصل والد الشاعر المضرحي ببني أبي بكر بن كلاب، فهو ابن عامر بن الهصان (عباس، 15،1989)، أمّا أمه فهي كلابية النسب أيضا وأسمها "عمرة" ، أمّا لقبه، فلم يكن مقتصرًا عليه، بل أطلق على عدد من المتمردين ، وقد عدّ الأمدي منهم ثلاثة قتّالين آخرين وهم: القتّال الباهلي والقتّال البجلي والقتّال السكوني، وزاد ابن حبيب رابعاً اسمه "عبد الرحمن بن صبحان المحاربي، وهم جميعا أشبه بمن كانوا يلقّبون في الجاهلية بالخلعاء(عباس، 17،1989)، وكما كنية الشاعر لم تكن بمنأى عن الاختلاف، فهو حينا: أبو المسب، وآخر أبو سليل أو شليل(الأصفهاني، د.ت، 158).

لقب الشاعر بـ" القتّال" لأنه كان يوصف بكثرة القتل والفتك في خصومه، وقيل إنه كان شديد الشجاعة وقاسيًا في القتال، كما وصف نتاجه الشعري بأنه كان يتميز بالفخر والحماسة، وفيه أيضًا لمحات من الحكمة واليأس والتمرد على الحياة، وأكثر ما يُعرف من شعره في الفخر بنفسه ووصف معاركه وأخلاق الصعلكة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تشير المصادر التأريخية إلى أن الشاعر تزوج من ثلاث نساء: بنت "ورقاء بن الهيثم بن الهصّان"، وكانت عنده مع ضرتها "صفية"، وقد رماها القتال بعفافها، عندما رأى عندها "جرير بن الحصين"، فشجعته ضرتها عليها فطلقها، وكانت بنت ورقاء حاملاً في ابنها "المسيّب", وقد ولدته بعد طلاقها، أما ثالثتهن: فهي "ريا بنت نفر بن عامر بن كعب بن أبي بكر" وقد ولدت له أربعة بنين(الأصفهاني، د.ت، 337).

المحور الأول، الدراسة الموضوعية:

يعتقد بعض النقّاد أن الشاعر القتّال يعدُّ من صعاليك الفئة الثالثة الذين تمردوا على عدالة القانون بسبب جرائم ارتكبوها(عطوان، د.ت،78)، ولما كان القتّال صعلوكاً، فإن هذا السلوك قد ظهر جلياً في موضوعات شعره ، وكتب فيه ما كتب من النصوص الشعرية، من ذلك قوله واصفًا السجون:

ألا حَبَّذَا تلك الديارُ وَأهْلُهَا لو أنَّ عَذَابي بالمدينةِ يَنْجَلي

برزتُ بها مِنْ سِجْنِ مَروانَ غُدْوَة فَأنَستْهُا بالأيْمِ لمَّا تَحَمَّلِ (الديوان،72)

وفي موضع آخر يقول :

تركتُ ابنَ هبَّارٍ لَدَى البابِ مُسْنَداً وأصبح دوني شَابَةٌ وَأرُومُ

بسيفِ أمرئ لا أُخبرُ النَّاسَ باسمِه ولو أَجْهَشَتْ نَفْسِيْ إليَّ هموم (الديوان،87)

ويتضح جليا من النصين الشعريين تعلق الشاعر بالسجن، مع أنه من الأماكن غير المألوفة لدى الإنسان، لكن القتّال فيما يبدو يرى في السجن ما ترتاح له نفسه المتعبة وتهدأ جوارحه .

وفي أكثر من مناسبة حاول الشعراء اللصوص أن يجدوا لهم مكان آمنا بوصفهم يعيشون حياة قلقة تهددهم في كل لحظة ، لكن يبدو أن المكان المتخيل هو الذي يفضله الشعراء بوصفهم من عشاق الخيال، فاذا لم يجدوا ذلك المكان في الحقيقة اخترعوه وأوجدوه في مخيلاتهم الذي يعطيهم دفقا من الراحة والاطمئنان، بغض النظر عن الواقع القاسي الذي ارتضوه أو هم مكرهون عليه، لأنهم ثاروا على المجتمع، أو لأن المجتمع أراد أن ينتقم منهم بوصفهم قد خرجوا على النظم الاجتماعية والقبلية التي لم يستطيعوا الانسجام معه (توصيفات اللصوص للمكان المعهود ، صباح ايليا القس)

ومن الموضوعات الأخرى التي كتب فيها الشاعر، الحنين إلى منزل قومه، فنراه في غمرة تأبده وتشرده يراوده طيف محبوبته، فتهيج الذكريات الرياح الآتية من صوب نجد، ومن ذلك قوله:

عَفَتْ أَجَلَى مِنْ أَهْلِها فقليبها إلى الدَّوْمِ فالرَّنقاءِ قَفْراً كَثِيبُهَا

إذا هَبَّتِ الأرْوَاحُ كانَ أَحبَّها إليَّ التي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ هُبوبهَا

سَمِعْتُ وَأصْحابي بِذي النَّخْلِ نازلاً وقد يَشْعَفُ النَّفْسَ الشَّعَاعَ حَبِيبُها(الديوان،30)

ويبدو أن الشاعر الصعلوك كان دائم الحنين إلى دياره، وقد اضطرته الظروف أن يرحل عنها هرباً من عقاب ينتظره ، مخلفاً وراءه ذكريات جميلة ، وهذا أمر طبيعي ، فالشعراء الصعاليك ليسوا وحدهم من يحنون إلى الماضي لصناعة المستقبل، فلكل انسان ماضيه ومستقبله، فالماضي مبني على الحافظة التذكارية، والمستقبل يرسمه الشاعر من خياله، وهذا بطبيعة الحال يختلف من شاعر الى آخر، بل من إنسان إلى آخر ، أي للناس جميعا امنياتهم الذاتية، لكن مع ذلك ثمة من ليست له أمنيات، فقط أولئك الذين يعيشون يومهم ولا يهمهم المستقبل (جون علي، 2016، 55)

عفا من آلِ خَرقاءَ السّتَارُ فَبُرْقَهُ حَسْلَةٍ منها قِفَارُ

فأَوْحَشَ بعدنا منها حِبِرٌّ ولم تُوقَدْ لها بالذّنْبِ نارُ

لَعَمْرُكَ إنني لأحِبُّ أرْضا بها خَرْقاءُ لو كانت تُزارُ(الديوان،51)

ومن الموضوعات الأخرى التي تضمنها ديوان الشاعر هي هجاء قومه، وهو موضوع مستساغ عند غالبية الشعراء الصعاليك ؛ لاسيما أولئك الذين نبذتهم قبائلهم وتخلت عنهم، إذ من الطبيعي أن يفقدوا إيمانهم بكل معاني القبلية، أو أن يكفروا بتلك العصبية القبلية التي لم يعد لها قيمة في حياتهم، بل قد ينقلبون غزواتهم إليها(خليف، د.ت،116-117)،غير أن الأمر عند القتال الكلابي يبدو في صورة أخرى، فالقبلية لم تخلعه، وإنما نبذته لسوء سلوكه وكثرة جناياته، وكانت كثيراً ما تعيره فتقول له : "أنت كل على قومك، والله إنك

لخامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كل على ابن عمك ، وقد نقل لنا الشاعر صورة عن خلافه مع قومه، وما ترك هذا الأمر من حزن في نفسه " (القاضي، 2005، ص3)

دَعوتُ أبا كعبٍ ربيعةَ دعوةً وَفَوْقي غَواشي الموتِ تُنْحي وتنجمُ

ولم أكُ أدري أنه ثُكْلُ أُمّهِ إذا قيلَ للأحرارِ في الكُرْبَةِ أقدمُوا

فلو كنتَ من قومٍ كرامٍ أعزَّةٍ لحاميتَ عنّي حين أحمى وأضْرَمُ (الديوان،85)

ويظهر الشاعر وهو في أشد ساعات ضعفه وانكساره ، فهو يستجير بقومه ولا ينجدونه، فلا يملك بعدها سوى التمني لو كان من قبيلة أخرى، فقبيلته (قماشة حاطب)، كما يعتقد القتّال ليست من القبائل التي تحمي أبنائها ، فهي يجمعها الكف ، وفي ذلك يقول:

ولكنما قومي قُمَاشةُ حاطبٍ يُجَمعها بالكف، والليلُ مُظْلِمُ(الديوان،85)

ومن الموضوعات الأخرى التي تطرق إليها القتال هي السكوت عن الثأر، فالقبيلة كما يعتقد القتّال مسؤولة عن دم أبنائها، حتى أن قبول دية المقتول كان عاراً في وقت مضى، لأنه سمة الضعف والعجز والهوان (الحوفي،1962، 283). وقد جرّ هذا الاعتقاد حروباً ونزاعات مستمرة ، إذ لا شيء أدعى للفخر في المجتمع القبلي من ادراك القوم ثأرهم، والرجل الذي يعجز عن إدراك ثورته يكون عرضه للمذمة والازدراء، وكذلك القبيلة العاجزة عن إصابة وترها(النص،1973، 123).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وحين جاء الإسلام وحرم القتل بغير حق، ونقل مسؤولية معاقبة القاتل من القبيلة إلى الدولة، كان يصعب على القبائل البدوية أن تتحول عن مفاهيمها وعاداتها التي لازمتها حقبة من الزمن، وخير مثال على ذلك القتّال الكلابي، الذي هجا قومه وغيرهم لقبولهم دية قتيل، كان قد قتله بنو جعفر بن كلاب، وفي هذا السياق يقول :

لهم جَزَرٌ منكم عبيطٌ كأَنَّهُ وِقَاعُ الملوكِ فَتْكُهَا واغتصابُها

فما الشرُّ كلَّ الشرّ لا خيرَ بعدهُ على النَّاسِ إلا أن تَذِلَّ رقابُها(الديوان ،33)

فهو يهجوهم وينال منهم بأبشع الصفات لقبولهم الدية، فقد كان يتمنى على قبيلته أن تقتدي ببني قرارة ، الذين أدركوا ثأرهم من قبيلة كلب، فيقول :

سقَى الله حباً من فزارةَ، دارُهُمْ بِسَبَّى، كراماً حيثُ أَمْسَوْا وأَصْبَحُوا

هُمُ أَدْرَكُوا في عبد وُد دماءَهُمْ غداةَ بناتِ القَيْنِ والخيلُ جُنَّحُ (الديوان،40)

ومن الموضوعات الشعرية التي تناولها الشاعر وكتب فيها نصوصًا شعرية مطوّلة، موضوع (الفخر)، ويندرج تحت هذا الغرض فخر الشاعر بقومه، وفخره بنفسه، من ذلك قوله :

لقد وَلَدَتْ عَوْفَ الطّعَانِ ومالكاً وَعَمْرَو العُلَى والحارث المُنَتَّجَبَا

رجالٌ بأَيْديهْا دماءٌ وَنَائِلٌ يَكَادُ على الأعْدَاءِ أن يَتَحَلَّبَا(الديوان،34)

ويتضح جليا أن الوضع والسلوكيات التي قائمة آنذاك؛ أفرزت وضعاً غير متوازن ولّد شعورا مشوبا بالخوف والغموض، والتطلع والإحباط، فبلغ درجة من الاضطراب والتعقيد بالقدر الذي كان مدعاة لاضطراب موقفه من تلك التحولات، التي كانت في الوقت ذاته حافزا على شحذ طاقته ضمن درجة وعيه وتكوينه الثقافي وموهبته الشخصية ، ولذلك نراه في مناسبة أخرى ينتصر لقومه حيث يشتد ظلم بني جعفر لهم ، فيقول:

وَأنتمْ أناسٌ تُعْجَبُونَ برأيكُمْ إذا جَعَلَتْ ما في المَقارِصِ تَهْدِرُ
قَبائِلُنَا سَبْعٌ وَأنتمْ ثلاثةٌ وَلَلسَّبْعُ خيرٌ من ثلاثٍ وأكثرُ
ونحنَأُ ناسٌ عُودنا عودُ نَبْعَةٍ صَليبٌ وفينا قَسْوَةٌ لا تُزَوَّرُ(الديوان،50)

وليس هذا فحسب ، فالشاعر في أكثر من مناسبة يظهر حتى في هجائه وفخره وهو شديد الاعتزاز بنفسه، ويتضح ذلك جلياً من تكرار ضمير (الأنا) في بعض نصوصه الشعرية التي تضمنها ديوانه، فيقول :

والخيل إذْ جَاءَتْ بريعانٍ لها حِزَقاً تَوَقَّصُ بالقَنَا المُتَقَصّدِ
والقوْمَ إذْ دَرَهُوا بأَبلجَ مُصْعَ بِحَنِقٍ يجورُ عنِ السَّبيلِ وَيَهْتَدي
أَنّي أكون له شَجَىً بِمُنَاقِلِ ثَبْتِ الجنانِ وَيَعْتَلي بالْقَرْدَدِ (الديوان،42)

ومن الموضوعات الأخرى التي تضمنها شعر القتال الكلابي موضوع (الوصف)، ولعل مرد ذلك نشأة الشاعر في البادية التي أسهمت في تنمية هذا الغرض الشعري في نفسه، ومكّنته من معرفة ما يثير اهتمام المتلقي ، ومن ذلك قوله :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وَمَشَيْتُ في أَعْطافِهِ مُتَدنياً وَأَحَطْتُ أَقْفُرُ مِنْ حيالِ المَوْرِدِ
وَقَفَرْتُ، أَنْظُرُ هلْ لنا بأَنِيسهِ عَهْدٌ صفائحَ في إزارٍ مُلبَدِ(الديوان،42)

فالأطلال، فيها ذكريات له مع محبوبته، وهو يبحث عن رقائق الحجارة التي طالما جلس فوقها إلى جوار محبوبته، ومن وصفه للظعائن قوله :

نظرتُ وقد جَلَّى الدُّجَى طاسمَ الصُوى بِسَلْعٍ وَقَرْنُ الشمسُ لم يترجَّلِ
إلى ظُعُنٍ بين الرسَيْسِ فَعَاقِلٍ عَوَامِدَ للشِقَّيْنِ أو بَطْنِ خنثلِ(الديوان،73)

وليس هذا حسب ، فحتى الغزل بأنواعه نصيب من شعر القتّال ، ومن ذلك قوله :

أصارمتي أُمُّ العَلاءِ وقد رَمَى بيَ الناسُ في أمّ العلاءِ المراميا(الديوان،94)

وكذلك قوله :

قلتُ له يا أخرمَ بن مالِ إن كنتَ لم تُزْرِ على الوِصَالِ
ولم تَجِدْني فاحشَ الخِلالِ فارفعْ لنا من قُلُصٍ عجالِ
مُسْتَوْ سقات كالقطا عبالِ لعلنا نطرقُ أُمَّ عَالِ(الديوان،83)

ومن الجدير ذكره أن تعدد الأغراض الشعرية التي كتب فيها الشاعر؛ يرجع بدوره الى تنوع معطيات العصر الذي عاش فيه ومتطلباته ومتغيراته لتحقيق غرضه المنشود ، فهو لا يختلف عن باقي شعراء عصره ، فقد

كان يرمي من وراء قوله إلى غاية يسعى إلى تحقيقها، وهدف يتطلع إلى وصوله، ومقصد يتغيًّا نيله وبلوغه، فهو وقبل أن يلقي بالكلام في الأسماع كان يحمل رسالة وموضوعًا وغرضًا يصبو إليه؛ فهو من القبائل البدوية التي عانت فقراً مدقعاً ولد حالة من التفاوت الطبقي ، أو ما يطلق عليه في علم الاجتماع بالتناشز الاجتماعي .

من هذه الزاوية وغيرها أثار نقاد الشعر العربي، قديمهم وحديثهم، إشكالية الغرض الشعري، وعالجوها وقلبوها على أوجهها المتعددة، وربطوها بموضوعات الشعر، وحاولوا حصرها نقدياً(مفهوم الغرض الشعري، 2015).

المحور الثاني، الموضوعات الفنية:

سنتناول في هذا المحور مكونات الصورة الفنية لدى الشاعر وموسيقاه الشعرية، التي تعدُّ وسيلته في التعبير عن تجربته الشعرية، وذلك بالتأليف بين عناصر الفكر والوجدان لديه، من خلال رؤيته الخاصة، وهي تعبير صادق عن شخصية الشاعر الذهنية والوجدانية معاً، وتحمل الصورة الفنية طابع الشاعر الخاص، وأصالة الفنان في تصويرها لمشاعره وأفكاره(أبو زيد ، 243،1983).

ولما كانت اللغة وسيلة الشاعر في تشكيل صوره، فهي المعيار الدقيق الذي يتم على قدرته في نقل الألفاظ إلى المستوى الايحائي تحت طريق تشكيله لعلاقات جديدة بين مفردات اللغة، تجسد خبرته الفنية، وتكون موازياً رمزياً لواقعه الذي يعايشه(عودة ، د ت، 7)، وهكذا تصح اللغة عند الشاعر معيناً يفجر في القارئ نوعاً من المشاركة الوجدانية، وما من شك في أن الأبواب البلاغية من تشبيه، واستعارة، ومجاز تشكل الفهم التراثي للصورة الفنية(البطل ، 1980، 15)، ولهذه اللغة وسائلها الخاصة التي تُبلّغ من خلالها رسالة الشاعر في نصه ، ومن أشعار القتّال الكلابي التي حملت في تكوينها البنائي الصورة الشعرية ، قوله :

لا يتركونَ أخاهُمْ في مُوداةٍ يسفى عليه دليكُ الذل والعارِ(الديوان،56)

ومن الملاحظ أن الشاعر نجح في تصوير الذل والعار، وهما أمران معنويان صورهما الشاعر بالتراب تسفيه الريح مسببا الخزي والعار، فهو قد نقل الأمر المعنوي المجرد واحاله أمراً محسوساً، وهو فيه تقريب للمعنى وتوضيحه وتقدميه بصورة مقنعة للمتلقي.

وفي هذا السياق نراه يشخّص مظاهر الطبيعة؛ وذلك عن طريق بث الحياة في الجوامد ، فيحيلها صوراً حية ناطقة، فالشمس عنده وقد شارفت على الإشراق يراها فارساً لم يترجل، وكأنه يسعى لتجسيد عنصر الزمن حين ينقشع الظلام، فتنكشف له الاطلال ، فيقول :

نظرتُ وقد جَلَّى الدجى طاسمَ الصوى بِسَلْعٍ وَقَرْنُ الشمسُ لم يترجَّلِ(الديوان،73)

وعلى هذا النحو يسير في صوره التشخيصية، فالغصن عنده محط شكواه يبثه أحزانه، فيقول :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أَعاليَ لو أشْكو الذي قد أصابني إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأصبح باليا(الديوان،94).

إنها صورة غير مباشرة لبيان قدرة تحمله ما لا تستطيع عناصر الطبيعة تحمله، فالصورة في الشعر الأصيل لا يؤتى بها للتزيين والزخرفة اللفظية وإنما هي شيءٌ أصيل تمليه الحالة النفسية للشاعر ، فالصورة الفنية هي الحامل الأمين لمشاعر الشاعر وتُرجمان نفسه الشاعرة ، فالشاعر يترجم أحاسيسه وعواطفه ، وينقل كوامن نفسه من خلال الصورة الفنية التي يبدعها في نصه الشعري ، فالشعر " من حيث هو ذو طبيعة حسية يخضع لنوعٍ من التنظيم أو التشكيل ، ويُبين عن شعور بلغ درجة الانفعال فحرّك الخيال الذي تأطّر في سلسلة من الصور. (**البطل 1980 م ، ص24)**

ولم يقف الشاعر في رسم صوره الشعرية عند حدِّ معين، بل اعتمد على عناصر البلاغة في رسم صوره الشعرية ، ومن ذلك عنصر التشبيه ، فمحبوبته تشكل لديه فيما يبدو محور الصورة ، ومن ذلك قوله :

وما مُغْزِلٌ مِنْ وَحْشِ عرنْانَ أثْلَعَتْ بِسُنَّتِهَا أخلت عليها الأواعس

تُذكرني شبهاً لطيبةَ إذ بَدَتْ لنا، وصوارُ الوَحْشِ في الظل كانسُ(الديوان،66)

ويتضح من النص الشعري أن الشاعر يشبه محبوبته بالظبية الذات ولد، وهي تسمو بجيدها، لينكشف وجهها الجميل، كي تكتمل عناصر الصورة البدوية عنده، ولا ينسى صورة القطع من البقر الوحشي وقد انزوى بعيداً مشكلاً ظلاً للصورة ، وبذلك تتضح قدرة الشاعر على توظيف الأساليب البلاغية المختلفة للتعبير عن مبتغاه الإبداعي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومن القضايا التي تتعلق بالجانب العروضي في شعر القتّال مسألة التضمين، وهي تعلّق قافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها(القيرواني ، 1981، 171)، ومن أمثلته عند القتّال الكلابي قوله :

وما روضةٌ بالحزنِ قفرٌ مجودةٌ يمجُّ النَّدى ريحانها وصبيبها

بأطيبَ بعدَ النَّومِ من أم طارقٍ وَلا طعمُ عنقودٍ عقارٍ زبيبها(الديوان،31)

ومما تميز به الشاعر القتّال عن غيره من الشعراء العرب هي تقنية التصريح، وهي واحدة من التقنيات الشعرية التي يلجأ اليها الشعراء في زيادة الإيقاع الموسيقي داخل النص الشعري، فكلما "كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه ، كان أدخل له في باب الشعر"(القيرواني ، 1981،174)، غير أن بعض النقاد استكرهوا وروده في أكثر من بيت في القصيدة الواحدة، لأن هذا أخل في باب التكلف(بكار ،1983 ،84).

ويتضح أن الشاعر القتّال التزم التصريح في مطالع القصائد دون المقطوعات، مما يشير إلى أنه كان حيث يفرغ للفن بطول النفس عنده، ويعنى بالتجويد، مراعياً الأحكام النقدية ، وهو بذلك يجاري التطور الذي مسَّ فن الرجز في مطلع العصر الأموي(أنيس، 1952، 13)، من ذلك ما جاء في قوله :

قلتُ له أخرمَ بن مالِ إن كنتَ لم تزرِ على الوِصَالِ

ولم تَجِدني فاحش الخلالِ فارفعْ لنا من قُلُصٍ عجال(الديوان، 83)

ومن العناصر الموسيقية الأخرى في شعر القتال الكلابي ظاهرة التكرار ، الذي يمثل "تناوباً للألفاظ الموظفة وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً ، يتقصده الناظم في شعره"(هلال ، 1980، 239)، فضلاً عما يؤديه التكرار من تأكيد للمعنى، ومن أمثلة التكرار في شعره قوله :

يَرى أنَّ بعدَ العُسْرِ يُسْراً ولا يَرى إذا كان يُسرٌ أنّهُ الدَّهْرَ لازِبُ(الديوان، 29)

وكذلك قوله :

فما الشرُّ كلَّ الشر لا خيرَ بعدهُ على النَّاسِ إلا أن تَذل رقابها(الديوان،33)

وهنا يكرر القتال اللفظة بعينها، وقد يكرر المقطع كاملاً في البيت الواحد كما في قوله :

عَضتْ بعبدِ الله إذ عضتْ به عضتْ بعبدِ الله سيفاً قاطعاً(الديوان،70)

ومنه أيضاً :

يضيءُ سناها وَجْهَ ليلى كأنما يضيءُ سناها وَجْهَ أدماءَ مُغْزِلِ(الديوان،75)

وغالباً ما تكون ظاهرة التكرار ملازمة لحدة الانفعال، إذ تكشف عن طبيعة العاطفة التي تسيطر على الشاعر، فيلجأ إلى تأكيد فكرته، فضلاً عمّا تضيفه من رديف للإيقاع الموسيقي في القصيدة ، وليس هذا فحسب، فقد يمكن ملاحظة الانسجام الصوتي في تكرار الصوت على مدى البيت الواحد، أو عدة أبيات وكيف يؤدي نغماً خاصاً، لما يؤلفه من انسجام صوتي، فالنغم الصوتي هو "اجتماع الأصوات اللغوية تحت تنظيم الإيقاع في نموذج يعلو، ويهبط، ويلين، ويشتد متلائما مع نموذج الفكرة والانفعال"(النويهي ،1964، 140)، من ذلك تكراره لحرف الصاد بقوله :

فإذا أرادَ الوَصْلَ لا تصلينَهُ وَوَصَلْتِ أصحابَ الشبابِ الأغيدِ(الديوان،41)

وكما يكرر حرف الصاد نجده يكرر حرف العين في أبيات أخرى على نحو ما نجده في قوله :

إن العروق إذا استنزعتها نزعت والعرق يسري إذا ما عرس الساري(الديوان ،58)

من الواضح أن القتّال يجود إذا طال، ويحسن انتقاء ألفاظه، وما تؤديه من معان، مراعيا ائتلاف اللفظة مع السياق، محققاً انسجاماً يسهم في زيادة النغم والإيقاع.

الخاتمة

يمكن إجمال النتائج التي توصل اليها البحث عبر رحلته النقدية ، بما يلي :

- شخّص البحث اختلافا في أوساط النقاد فيما يتعلق بسيرة الشاعر واسمه وعصره الذي عاش فيه .

1. جسدت الموضوعات التي تضمنها ديوان الشاعر بوحاً تاماً لرؤيته الحياتية التي انمازت بالرفض.
2. اتسم السلوك الثقافي في شعر القتال بالالتزام بمبادئ الصعلكة ، التي أخذت على عاتقها بث لغة العون والوقوف ضد البطرياركية القبلية.

3. وظّف الشــاعر مضــامين بلاغية عديدة، غايتها التأثير في المتلقي؛ والمســاعدة في بث تجربته التي عبرت عن رؤيته، وفلسفته في الحياة.
4. رصد البحث حرص الشاعر على توظيف بعض الأساليب البلاغية كالتضمين ، والتصريح ، وظاهرة التكرار ، سواء أكانت بتكرير حرف ، أم مقطع شعري بأكمله، وهو سبيل سلكه لاستمالة المتلقي تارة وتثبيت الحجة تارة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع :

- الأغاني ، أبو الفرج الاصفهاني ، مطبعة التقدم ، مصر، 1968.
- بناء القصيدة في النقد القديم ، يوسف بكار ، دار الاندلس ، بيروت ، ط2 ، 1983 .
- حرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي ، ماهر مهدي هلال ، مطبعة الحرية ، بغداد ، 1980 .
- الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن الحسن البصري ، تح : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط1 ، 1999 .
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، مكتبة النهضة ، مصر ، دار أفكر ، ط1، 1973 .
- ديوان القتّال الكلابي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989 .
- سمط اللآلي ، أبو عبيد البكري ، تح : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012
- شعر الثورات العلوية ، قراءة فنية ، محمد تقي جون ، مجلة لارك ، كلية الآداب – جامعة واسط ، العدد 21، 2016، https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/615/504
- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، القاهرة ، 1964 .
- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، د. حسين عطوان ، دار الجيل ، ط1، بيروت، 2003.
- الصور الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، علي البطل ، دار الأندلس ، ط1 ، 1980 .
- الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ، علي إبراهيم أبو زيد ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1983 .
- الصورة الفنية في شعر ذي الرمة ، خليل محمد عودة ، دار الجامعة ، مصر ، 2006.
- الصــورة في الشــعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : دراســات في أصــولها وتطورها ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، بغداد ، ط1 ، 1980 .
- الصورة والبناء الشعري ، د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، بيروت، ب.ط ، ب.ت .
- العمدة في نقد الشــعر وآدابه ، ابن رشــيق القيرواني ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، القاهرة، ط5، 1981.
- المحبر ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط1970،3 .
- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط2 ، 1952 .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية